سلسلة أبحاث في العقيدة (١٤)

أنواع واحكام الشرك الأكبر والشرك الأصغر في اللسان

التوسل - الاستعانة - الاستشفاع

بقلم الباحث/ محمد حمدى سيد صالح

(أبو عُمير محمد الحلوانى)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله اللهم صلي وسلم وبارك علي عبدك ونبيك محمد وعلي إله وصحبه ومن صار علي نهجه إلي يوم الدين أما بعد فهذه المحاضرة الثالثة عشر في دورة منة الرحمن عنوان المحاضرة

أنواع واحكام الشرك الأكبر والشرك الأصغر في اللـسان

عناصر البحث

- ✓ الشرك المتعلق باللسان مرتبط باعتقادات القلب الشركية
- ✓ توحيد الله في الدعاء يكون بالقلب واللسان والجوارح
- ✓ الدعاء يرد في القران والسنة علي عدة معاني
- ✓ دعاء الانداد وندائهم من الشرك الأكبر المتعلق باللسان
- ✓ الاستعانة والاستغاثة بالأنداد من الشرك الأكبر
- ✓ التوسل المشروع هو ما نص عليه الكتاب والسنة
- ✓ التوسل الممنوع يتردد بين الشرك الأكبر والأصغر
- ✓ شبهات يوردها المخالفون في تبرير التوسل الباطل والجواب عليها
- ✓ حديث الضرير ليس فيه حجة للتوسل الي الله بالات النبوية
- ✓ الشبهة الثالثة : الأحاديث الضعيفة في التوسل :
- ✓ الاستشفاع بالأنداد من أنواع الشرك المتعلق باللسان
- ✓ بيان الشرك الأصغر المتعلق باللسان

الشرك المتعلق باللسان مرتبط باعتقادات القلب الشركية

نعلم عقلا ونقلا ان الاستعانة بالغير او الاستغاثة به يرتبط ارتباطا بالاعتقاد اي بالقلب وياتي بالتوجه بالسؤال والطلب والدعاء وهذا لا يتوجه الا لله لانه غني بذاته وهو الذي انصف بصفات الكمال

فاذا توجهت الي شخص يستطيع ان تستعين به علي قدر استطاعته فلا باس لانه قادر علي المساعدة اما اذا توجه العبد الي القبور والأضرحة هذا ينافي التوحيد والاخلاص لانه يثبت للاموات انه اتصفوا بالغني والكمال التي هي صفات الحق سبحانه وتعالى وايضا جعل العباد متعلقون بالمخلوق وليس بالخالق وهنا يثبت للمخلوق صفة العلم والسمع والحياة والبصر المطلقة وهذا لا يتصف به الا رب العزة والجلال

﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤) ﴾[١]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) ﴾[٢]

لقد نفي الله تعالى جميع الصفات اللازمة لإجابة الدعاء عمن توجهوا إليهم وأثبت في المقابل فقرهم وضعفهم وعجزهم

---

[١] [فاطر]
[٢] [الحج]

قال قائل في دعاء عن البدوي أو بن الرفاعي يقول

يا من هو البحر الخضم اذا جري

جاءت لك الزور من اقصي القري

كل ينادي يستغيث لما جرى

فلقد حويت الفضل ياغوث الورى

فماذا تركوا لله عزوجل عندما يقال هذا في بشر والله يقول

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) ﴾[٣]

الشرك المتعلق بالقلب واللسان والجوارح أعظم عند الله مالقتل التي حرم الله الا بالحق

لان لازمه وصف الله بالنقص ومساواته سبحانه بمن اتصف بالفقر والعجز

ومن المحزن ان هذا الامر منتشر في كثير من البلاد الاسلامية

ونحن نعلم أن المبالغ في اطراء النبي واخراجه عن وصف العبودية ووصفه بأوصاف الربوبية يكون مشركا مستوجبا لغضب الله ورسوله لان النبي بشر وليس له من العبادة مثقال ذرة فكيف بمن دعا غيره ممن أقل شأنا من مقام النبوة والله قد أمر أمته أن تكون العبودية خالصة لله بلا شرك قال الله تعالى

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾[٤]

---

[٣] -النمل

[٤] -النساء

توحيد الله في الدعاء يكون بالقلب واللسان والجوارح

معنى الدعاء طلب نداء ورغبة ورجاء وسؤال وابتهال

أما الدعاء من جهة الشرع

وَمَعْنَى الدعَاءِ: استدعَاء العَبْدِ رَبهُ -عز وجل- العِنَايَةَ واستمداده إياه المَعُوْنَةَ.

وَحَقِيْقَته: إظْهَارُ الافْتِقَارِ إلَيه، والتبَرُّؤ مِنَ الحَوْلِ وَالقُوة، وَهوَ سِمَةُ العبودية، واسْتِشْعَارُ الذِّلةِ البَشَرِيةِ، وَفيهِ مَعْنَى الثنَاءِ عَلى اللهِ [عزَ وجلَ] ، وإضَافَةُ الجود، وَالكَرَمِ إليه؛ وَلذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: "**الدعَاءُ هُوَ العِبادة**"[٥].

---

[٥] - شأن الدعاء للخطابي صـــــ٤

الدعاء يرد في القران والسنة علي عدة معاني

١- **النداء : كما قال الله تعالى** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) ﴾[٦]

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى قَالَ

كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي فَقَالَ أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ **ثُمَّ قَالَ لِي لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ الْمَسْجِدِ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**

٢- **الطلب والسؤال : كما في قوله تعالى** ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾[٧]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه

أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ « إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِىَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِى الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِى إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِىَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ ».[٨]

---

[٦] - الأنفال

[٧] -البقرة

[٨] - راوه مسلم (٨٧٥)

٣- **الاستغاثة : كما في قوله تعالى** ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (٤١) ﴾[٩]

٤- **العبادة** : كما ورد عند الترمذي من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال الدعاء هو العبادة ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) ﴾[١٠]

والله أمر عباده أن يدعوه وحده لا شريك له بأسمائه الحسنى دعاء مسألة ودعاء عبادة قال الله تعالى

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) ﴾[١١]

فهذا الدعاء بكل هذه المعاني اذا صرفت لغير الله يقع في الشرك الأكبر

---

[٩] - الأنعام
[١٠] -غافر
[١١] -الأعراف

دعاء الانداد وندائهم من الشرك الأكبر المتعلق باللسان

دعاء المسألة فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى من الشرك المتعلق باللسان وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر قال الله تعالى ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) ﴾[١٢]

قال الله تعالى ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) ﴾[١٣]

هل الدعاء هنا دعاء مسألة أما دعاء عبادة ؟

دعاء العبادة : ان يظهر العبد بافتقاره الي الله الغني بذاته فيظهر افتقاره وضعفه الي الله باسمه القوي وان يظهر جهله الي الله باسمه العليم وكذلك في باقي اسماء الله وصفات

دعاء المسألة : أن يسئل العبد بلسانه الله

والاية دلت علي دعاء المسألة ودعاء العبادة

يوجد تلازم بين دعاء المسألة ودعاء العبادة

قال الله تعالى ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) ﴾[١٤]

وقد أمرنا الله أن ندعوه دعاء مسألة ودعاء عبادة

---

[١٢] -المائدة
[١٣] -الجن
[١٤] -الأعراف

عَنْ أَبِى ذَرٍّ

عَنِ النَّبِىِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ « يَا عِبَادِى إِنِّى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِى وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِى أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِى أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِى أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِى إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِى أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِى إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّى فَتَضُرُّونِى وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِى فَتَنْفَعُونِى يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِى مُلْكِى شَيْئًا يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِى شَيْئًا يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِى صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِى فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِى إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِى إِنَّمَا هِىَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ[١٥]

فهناك دعاء المسألة يتضمن دعاء العبادة وكذلك العكس وكذلك صح عن النبي أن الله ينزل في كل ليلة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ[١٦]

ودعاء المسألة ينبغي أن لا يصرف الا لله وحده لا إلي مخلوق فالله شاء أن تكون مصلحة العباد قائمة علي مصالحهم

بحيث أن يفعل العبد مصلحة لا للغير مطلقا بل تعود عليه إما في الدنيا وإما في الآخرة وقد

---

[١٥] - راوه مسلم (٦٧٣٧)

[١٦] - راوه البخاري (١١٤٥) ومسلم (١٨٠٨)

قال الله تعالى ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) ﴾[١٧]

قال الله بعدها ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) ﴾[١٨]

لذلك لما أرد ابراهيم أن يثبت لقومه عجزهم وأن ما يدعونه للا ينفعهم ولا يضرهم قال الله تعالى

﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩)[١٩]

هذا هو التوحيد الخالص والحنيفية السمحة ودين الفطرة فأين هذا ممن دعا غير الله كان نبيا أو ليا أو مخلوقا موصوفا في ذاته بالفقر الاضطرارى كما قال عبد العزيز الزمزمي المكي

يا رسول الله عجل بالفرج .... قد توالى الكرب واشتد الحرج

يارسول الله في جاهك لي ....سعة إن ضاق بي كل نهج

قسما بالله ما لاذ امره ....بك في خطب رجا إلا انبلج

عظم الكرب ولكن نرتجي ....برسولس يأتينا الفرج

---

[١٧] -الإنسان

[١٨] -الإنسان

[١٩] - مريم

فالشرك في الدعاء يتعلق بالقلب واللسان كأن يقال للميت من الأنبياء أو الصالحين : ادع الله لي أو سله أو سقتك علي فلان وكل هذا بلا شك أنه من الشرك وكذلك كأن يقال بالنداء يا سيدي فلانا أدركني أنصرني علي عدوي أو علي من ظلمني مدد يا سيدي شيء لله يا أهل الله نظرة إلينا بعين الرضا فهذا كله شرك ألم يسمعوا قول النبي لابن عباس **يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ اللّٰه يحفظك احفظ اللّٰه تجده تجاهك إذا سألت فاسأل اللّٰه و إذا استعنت فاستعن باللّٰه و اعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللّٰه لك و لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا قد كتبه اللّٰه عليك جفت الأقلام و رفعت الصحف**[٢٠]

[٢٠] - أخرجه الترمذى فى كتاب صفة القيامة والرقائق والورع برقم (٢٥١٦) ، وقال الشيخ الألبانى : صحيح ٤/٦٦٧ ، وقال الترمذى حسن صحيح .

الاستعانة والاستغاثة بالأنداد من الشرك الأكبر

الفرق بين الاستغاثة والدعاء

الاستغاثة تكون للمكروب والمعونة تكون عند الكرب وكل استغاثة معونة وليس العكس

﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥) ﴾[٢١]

والدعاء أعم من الاستغاثة لان يكون من المكروب وغيره فعلي هذا اذا عطف الدعاء علي الاستغاثة فهو من عطف العام علي الخاص

لا يجوز للعبد أن يطلب العون الا من الله لان غير الله لا يقدر علي طلب الاستغاثة وقد أمرنا الله جميعا نحن المسلمون أن نقول ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) ﴾

قال بن تيمية

أَمَّا الْأَسْمَاءُ الدَّائِرَةُ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ مِنْ النُّسَّاكِ وَالْعَامَّةِ مِثْلِ " الْغَوْثِ " الَّذِي بِمَكَّةَ وَ " الْأَوْتَادِ الْأَرْبَعَةِ " وَ " الْأَقْطَابِ السَّبْعَةِ " وَ " الْأَبْدَالِ الْأَرْبَعِينَ " وَ " النُّجَبَاءِ الثَّلَاثِمِائَةِ ":
فَهَذِهِ أَسْمَاءُ لَيْسَتْ مَوْجُودَةً فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى؛ وَلَا هِيَ أَيْضًا مَأْثُورَةٌ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْنَادِ صَحِيحٍ وَلَا ضَعِيفٍ يُحْمَلُ عَلَيْهِ أَلْفَاظُ الْأَبْدَالِ.

[٢١] -القصص

فَقَدْ رُوِيَ فِيهِمْ حَدِيثٌ شَامِيٌّ مُنْقَطِعُ الْإِسْنَادِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا إلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {إنَّ فِيهِمْ - يَعْنِي أَهْلَ الشَّامِ - الْأَبْدَالَ الْأَرْبَعِينَ رَجُلًا كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ أَبْدَلَ اللَّهُ تَعَالَى مَكَانَهُ رَجُلًا}

وَلَا تُوجَدُ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ فِي كَلَامِ السَّلَفِ كَمَا هِيَ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ؛ وَلَا هِيَ مَأْثُورَةٌ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ وَالْمَعَانِي عَنْ الْمَشَايِخِ الْمَقْبُولِينَ عِنْدَ الْأُمَّةِ قَبُولًا عَامًّا؛ وَإِنَّمَا تُوجَدُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ عَنْ بَعْضِ الْمُتَوَسِّطِينَ مِنْ الْمَشَايِخِ؛ وَقَدْ قَالَهَا إمَّا آثِرًا لَهَا عَنْ غَيْرِهِ أَوْ ذَاكِرًا.

وَهَذَا الْجِنْسُ وَنَحْوُهُ مِنْ عِلْمِ الدِّينِ قَدْ الْتَبَسَ عِنْدَ أَكْثَرِ الْمُتَأَخِّرِينَ حَقُّهُ بِبَاطِلِهِ فَصَارَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ مَا يُوجِبُ قَبُولَهُ وَمِنْ الْبَاطِلِ مَا يُوجِبُ رَدَّهُ وَصَارَ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ عَلَى طَرَفَيْ نَقِيضٍ. قَوْمٌ كَذَّبُوا بِهِ كُلِّهِ لِمَا وَجَدُوا فِيهِ مِنْ الْبَاطِلِ. وَقَوْمٌ صَدَّقُوا بِهِ كُلِّهِ لِمَا وَجَدُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ وَإِنَّمَا الصَّوَابُ التَّصْدِيقُ بِالْحَقِّ وَالتَّكْذِيبِ بِالْبَاطِلِ وَهَذَا تَحْقِيقٌ لِمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ رُكُوبِ هَذِهِ الْأُمَّةِ سُنَنَ مَنْ قَبْلَهَا حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ.

فَإِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ لَبَّسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَهَذَا هُوَ التَّبْدِيلُ وَالتَّحْرِيفُ الَّذِي وَقَعَ فِي دِينِهِمْ؛ وَلِهَذَا يَتَغَيَّرُ الدِّينُ بِالتَّبْدِيلِ تَارَةً وَبِالنَّسْخِ أُخْرَى وَهَذَا الدِّينُ لَا يُنْسَخُ أَبَدًا لَكِنْ يَكُونُ فِيهِ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَالْكَذِبِ وَالْكِتْمَانِ مَا يُلَبِّسُ بِهِ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَلَا بُدَّ أَنْ يُقِيمَ اللَّهُ فِيهِ مَنْ تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ خَلَفًا عَنْ الرُّسُلِ فَيَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِّينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ فَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [٢٢]

وقال بن تيمية

وَقَدْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَامَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَلَا مَشَايِخُهُمْ الْمَعْرُوفُونَ يَرْفَعُونَ إلَى اللَّهِ حَوَائِجَهُمْ لَا ظَاهِرًا وَلَا بَاطِنًا بِهَذِهِ الْوَسَائِطِ وَالْحِجَابِ فَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ تَشْبِيهِهِ بِالْمَخْلُوقِينَ مِنْ الْمُلُوكِ

---

[٢٢] - مجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/٤٣٥

وَسَائِرِ مَا يَقُولُهُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا وَهَذَا مِنْ جِنْسِ دَعْوَى الرَّافِضَةِ أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي كُلِّ زَمَانٍ مِنْ إمَامٍ مَعْصُومٍ يَكُونُ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ لَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ إلَّا بِهِ ثُمَّ مَعَ هَذَا يَقُولُونَ إنَّهُ كَانَ صَبِيًّا دَخَلَ السِّرْدَابَ مِنْ أَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعِمِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةٍ وَلَا يُعْرَفُ لَهُ عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ وَلَا يُدْرَكُ لَهُ حِسٌّ وَلَا خَبَرٌ. وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدَّعُونَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ فِيهِمْ مُضَاهَاةٌ لِلرَّافِضَةِ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ؛ بَلْ هَذَا التَّرْتِيبُ وَالْأَعْدَادُ تُشْبِهُ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ تَرْتِيبَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَالنُّصَيْرِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ فِي السَّابِقِ وَالتَّالِي وَالنَّاطِقِ وَالْأَسَاسِ وَالْجَسَدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ التَّرْتِيبِ الَّذِي مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ.[٢٣]

ولقد حذر النبي أمته من الشرك وبين ان النفع والضر بيده وحده وليست بيد أحد من الخلق حتى أمره الله أن يقول ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨) ﴾[٢٤]

والنبي ﷺ لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا الا ان يشاء الله فكيف من يزعم ويستغاث بالنبي

قال محمد الجمالي الحلبي

يامِلاذي يا منجدي يا منائي .... يا معاذي يامقصدي يا رجائي
يانصيري يا عمدتي يا مجيري ....يا خفيري يا عدتي يا شفائي
أنت عوني وملجئي وغياثي ....وجلا كربتي وأنت غنائي

قال الزمزمي داعيا مستغيثا بالنبي

نفحة لمحة غياثا عياذا ....عطفة جذبة جوابا نداء
كم هموم من اليون علتني ....أنا في فكرها صباحا مساء

---

[٢٣] - السابق ١١\٣٤٩
[٢٤] -الأعراف

ثقلت حملها غير أني بك ....أرجو وضعا لها أو وفاء

أنت في كل مطلب نصب عيني ....لا أري لي إلا سواك التجاء

عظمت كربتي فجئتك قصدا..........قاصدا للعظائم العظماء

قال البرعي

وليس معي زاد ولا لي وسيلة ....سوي هاشمي بالبهاء متوج

ألوذ به الجناب وأحتمي بمن هو عند الكرب للكرب مفرج

وأدعوه في الدنيا فتقضي حوائجي وإني إليه في القيامة أحوج

قال البوصيري في بردته

ياأكرم الخلق مالي من ألوذ به ....سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي ....إذا الكريم تجلي باسم منتقم

فإن من جودك الدنيا وضرتها.......ومن علومك علم اللوح والقلم

قال البوصيري

كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله ﷺ، منها ما كان اقترحه علي الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، ثم اتفق أن أصابني فالج أبطل نصفي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه البردة فعملتها، واستشفعت به إلى الله تعالى في أن يعافيني، وكررت إنشادها وبكيت ودعوت وتوسلت، ونمت فرأيت النبي ﷺ، فمسح على وجهي بيده المباركة، وألقى علي بردة فانتبهت، ووجدت في نهضة فقمت وخرجت من بيتي، ولم أكن أعلمت بذلك أحد، فلقيني بعض الفقراء فقال لي: أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله ﷺ، فقلت: أيها؟

فقال: التي أنشأتها في مرضك، وذكر أولها

وقال: واللّٰه لقد سمعتها البارحة وهي تنشد بين يدي رسول اللّٰه ﷺ، فرأيت رسول اللّٰه ﷺ يتمايل وأعجبته وألقى على من أنشدها بردة، فأعطيته إياها، وذكر الفقير ذلك وشاع المنام إلى أن اتصل بالصاحب بهاء الدين ابن حنا، فبعث إلي وأخذها وحلف أن لا يسمعها إلا قائماً حافياً مكشوف الرأس، وكان يحب سماعها هو وأهل بيته. ثم إنه بعد ذلك أدرك سعد الدين الفارقي الموقع رمد أشرف منه على العمى فرأى في المنام قائلاً يقول له: اذهب إلى الصاحب وخذ البردة واجعلها على عينيك فتعافى بإذن اللّٰه عز وجل، فأتى إلى الصاحب وذكر منامه فقال: ما أعرف عندي من أثر النبي صلى اللّٰه عليه وسلم بردة، ثم فكر ساعة

وقال: لعل المراد قصيدة البردة التي للبوصيري، يا ياقوت افتح الصندوق الذي فيه الآثار وأخرج القصيدة للبوصيري، وأت بها، فأتى بها، فأخذها سعد الدين ووضعها على عينيه فعوفي، ومن ثم سميت البردة، واللّٰه أعلم.

أيهم اشد شرك بالله الاستعانة بغير الله أم الأستغاثة بغير الله ؟ الأستغاثة بغير الله أشد من الاستعانة

التوسل المشروع هو ما نص عليه الكتاب والسنة

النوع الاول من التوسل : هو التوسل الي الله تعالى باسم من اسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العليا

كأن يقول المسلم في دعائه اللهم إني أسالك بأنك أنت الرحمن الرحيم اللطيف الخبير أن تعافيني وهذا دعاء المسألة

أو يقول : أسالك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمنى وتغفر لي

ومثله قول القائل : اللهم إني أسالك بحبك لمحمد فان الحب من صفات الله تعالى ودليل مشروعية هذا التوسل قوله ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) ﴾ [٢٥]

ومن الأدلة أيضا قول الله تعالى ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩) ﴾ [٢٦]

ومن السنة عن أنس قال ﷺ

دخل النبي ﷺ المسجد ورجل قد صلى وهو يدعو ويقول في دعائه اللهم لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام فقال النبي صلى الله عليه و سلم أتدرون بم دعا الله دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى [٢٧]

النوع الثاني من التوسل : التوسل الي الله تعالى بعمل صالح قام به الداعي كأن يقول المسلم : اللهم بإيماني بك ومحبتى لك واتباعي لرسولك اغفر لي أو يقول: اللهم إني أسالك بحبي لمحمدا وإيماني به أن تفرج عني ومنه أن يذكر الداعي عملا صالحا ذا بال فيه خوفه من الله سبحانه

---

[٢٥] -الأعراف

[٢٦] -النمل

[٢٧] - أخرجه أبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤) واللفظ له، والنسائي (١٣٠٠)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، وأحمد (١٢٢٢٦)

ويدل علي مشروعيته قول الله تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) ﴾ [٢٨]

ومن السنة

عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنه

قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوُا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ فَقَالُوا إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمُ اللَّهُمَّ كَانَ لِى أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلاَ مَالاً ، فَنَأَى بِى فِى طَلَبِ شَىْءٍ يَوْمًا ، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً ، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَىَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ » .

قَالَ النَّبِىُّ ﷺ

وَقَالَ الآخَرُ اللَّهُمَّ كَانَتْ لِى بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَىَّ ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَامْتَنَعَتْ مِنِّى حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ ، فَجَاءَتْنِى فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّىَ بَيْنِى وَبَيْنَ نَفْسِهَا ، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ لاَ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ . فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهْىَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَىَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِى أَعْطَيْتُهَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ . فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا .

---

[٢٨] -آل عمران

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ

وَقَالَ الثَّالِثُ اللَّهُمَّ إِنِّى اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ ، غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِى لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ ، فَجَاءَنِى بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَىَّ أَجْرِى . فَقُلْتُ لَهُ كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ . فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ لاَ تَسْتَهْزِئْ بِى . فَقُلْتُ إِنِّى لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ . فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا ، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ . فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ »[٢٩]

النوع الثالث من التوسل : التوسل الي الله تعالى بدعاء الرجل الصالح كأن يكون المسلم في ضيق شديد أو تحل به مصيبة كبيرة ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله تبارك وتعالى فيجب أن يأخذ بسبب قوي إلي الله تعالى فيذهب إلي رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة فيطلب منه أن يدعوا له ربه ليفرج عنه كربه ويزيل عنه همه فهذا نوع آخر من التوسل المشروع الذي دلت عليه السنة المطهرة وأرشدت إليه

من حديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ

يَذْكُرُ أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وُجَاهَ الْمِنْبَرِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلَكَتِ الْمَوَاشِى وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا . قَالَ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ فَقَالَ « اللَّهُمَّ اسْقِنَا ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا » .

قَالَ أَنَسُ وَلاَ وَاللَّهِ مَا نَرَى فِى السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلاَ قَزَعَةً وَلاَ شَيْئًا ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلاَ دَارٍ ، قَالَ فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ . قَالَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا ، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِى الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا ، قَالَ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ

---

[٢٩] - أخرجه البخاري (٢٢٧٢) باختلاف يسير، ومسلم (٢٧٤٣) مختصراً

ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا ، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالْجِبَالِ وَالآجَامِ وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ » . قَالَ فَانْقَطَعَتْ وَخَرَجْنَا نَمْشِى فِى الشَّمْسِ[٣٠]

[٣٠] - أخرجه البخاري (١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧)

التوسل الممنوع يتردد بين الشرك الأكبر والأصغر

قال الألباني

وقد اعتاد جمهور المسلمين منذ قرون طويلة أن يقولوا في دعائهم مثلا :

(اللهم بحق نبيك أو بجاهه أو بقدره عندك عافني واعف عني) و

(اللهم إني أسألك بحق البيت الحرام أن تغفر لي) و

(اللهم بجاه الأولياء والصالحين ومثل فلان وفلان ..) أو

(اللهم بكرامة رجال اللّٰه عندك وبجاه من نحن في حضرته وتحت مدده فرج الهم عنا وعن المهمومين) و

(اللهم إنا قد بسطنا إليك أكف الضراعة متوسلين إليك بصاحب الوسيلة والشفاعة أن تنصر الإسلام والمسلمين ....) . إلخ

ويسمون هذا توسلا ويدعون أنه سائغ ومشروع وأنه قد ورد فيه بعض الآيات والأحاديث التي تقره وتشرعه بل تأمر به وتحض عليه

وبعضهم غلا في إباحة هذا حتى أجاز التوسل إلى الله تعالى ببعض مخلوقاته التي لم تبلغ من المكانة ما يؤهلها لرفعة الشأن كقبور الأولياء والحديد المبني على أضرحتهم والتراب والحجارة والشجرة القريبة منها زاعمين أن ما جاور العظيم فهو عظيم وأن إكرام الله لساكن القبر يتعدى إلى القبر نفسه حتى يصح أن يكون وسيلة إلى الله بل قد أجاز بعض المتأخرين الاستغاثة بغير الله وادعى أنها توسل مع أنها شرك محض ينافي التوحيد من أساسه

حقيقة التوسل

بها التقرب إلى المطلوب والتوصل إليه برغبة عني قال ابن الأثير في (النهاية) : (الواسل : الراغب

والوسيلة : القربة والواسطة وما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به وجمعها وسائل

حقيقة التوسل الي اللّٰه تعالى

مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة

الوسيلة هي السبب الموصل إلى المطلوب برغبة فاعلم أنها تنقسم إلى قسمين : وسيلة كونية ووسيلة شرعية

فأما الوسيلة الكونية فهي كل سبب طبيعي يوصل إلى المقصود بخلقته التي خلقه اللّٰه بها ويؤدي إلى المطلوب بفطرته التي فطره اللّٰه عليها وهي مشتركة بين المؤمن والكافر من غير تفريق ومن أمثلتها الماء فهو وسيلة إلى ري الإنسان والطعام وسيلة إلى شبعه واللباس وسيلة إلى حمايته من الحر والقر والسيارة وسيلة إلى انتقاله من مكان إلى مكان وهكذا

وأما الوسيلة الشرعية فهي كل سبب يوصل إلى المقصود عن طريق ما شرعه اللّٰه تعالى وبينه في كتابه وسنة نبيه وهي خاصة بالمؤمن المتبع أمر اللّٰه ورسوله

ومن أمثلتها النطق بالشهادتين بإخلاص وفهم وسيلة إلى دخول الجنة والنجاة من الخلود في النار وإتباع السيئة الحسنة وسيلة إلى محو السيئة وقول الدعاء المأثور بعد الأذان وسيلة إلى نيل شفاعة النبي ﷺ وصلة الرحم وسيلة لطول العمر وسعة الرزق وهكذا

فهذه الأمور وأمثالها إنما عرفنا أنها وسائل تحقق تلك الغايات والمقاصد عن طريق الشرع وحده لا عن طريق العلم أو التجربة أو الحواس فنحن لم نعلم أن صلة الرحم تطيل العمر وتوسع الرزق إلا من قوله صلوات اللّٰه وسلامه عليه : صحيح من أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه

وهكذا الأمثلة الأخرى

ويخطئ الكثيرون في فهم هذه الوسائل بنوعيها خطأ كبيرا ويهمون وهما شنيعا فقد يظنون سببا كونيا ما يوصل إلى غاية معينة ويكون الأمر بخلاف ما يظنون وقد يعتقدون سببا شرعيا ما يؤدي إلى مقصد شرعي معين ويكون الحق بخلاف ما يعتقدون

فمن أمثلة الوسائل الباطلة شرعا وكونا في آن واحد ما يره المار في شارع النصر في دمشق في كثير من الأحيان إذ يجد بعض الناس قد وضعوا أمامهم مناضد صغيرة وعليها حيوان صغير يشبه الفأر الكبير وقد وضع بجانبه بطاقات مضمومة كتبت فيها عبارات فيها توقعات لحظوظ الناس كتبها صاحب الحيوان أو أملاها عليه بعض الناس كما شاء لهم جهلهم وهواهم فيمر الصديقان الحميمان فيقول أحدهما للآخر : تعال لنرى حظنا ونصيبنا فيدفعان للرجل بضعة قروش فيدفع الحوين لسحب بطاقة ما ويعطيها أحدهما فيقرؤها ويطالع حظه المزعوم فيها

ترى ما مبلغ عقل هذا الإنسان الذي يتخذ الحيوان دليلا ليعلمه ما جهله وليطلعه على ما غيب عنه من قدره ؟

إنه إن كان يعتقد فعلا أن هذا الحيوان يعلم الغيب فلا شك أن الحيوان خير منه وإن كان لا يعتقد ذلك ففعله هذا عبث وسخف وإضاعة وقت ومال يتنزه عنه العقلاء . كما أن تعاطي هذا العمل تدجيل وتضليل وأكل لأموال الناس بالباطل

ولا شك أن لجوء الناس إلى هذا الحيوان لمعرفة الغيب وسيلة كونية بزعمهم ولكنها باطلة تدحضها التجربة ويهدمها النظر السليم فهي وسيلة خرافية أدى إليها الجهل والدجل ومن هي من الناحية الشرعية باطلة أيضا تخالف الكتاب والسنة والإجماع ويكفي في ذلك مخالفتها لقوله سبحانه في الثناء على نفسه : { عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتض من رسول ... }[31]

---

[31] - سورة الجن

ومن الأسباب الكونية الموهومة ظن بعضهم أنه إذا سافر أو تزوج مثلا يوم الأربعاء أخفق في سفره وخاب في زواجه واعتقادهم أن من شرع في عمل هام فرأى أعمى أو ذا عاهة لم يتم عمله ولم ينجح فيه

ومن هذه الأسباب أيضا ظن كثير من العرب والمسلمين اليوم أنهم بعددهم الكبير فقط ينتصرون على أعدائهم من الصهاينة والمستعمرين وأنهم على وضعهم الذي هم عليه سيرمون اليهود في البحر وقد أثبتت التجارب خطأ هذه الظنون وبطلانها وأن الأمر أعمق من أن يعالج بهذه الطريقة السطحية

ومن الأسباب الشرعية الموهومة اتخاذ بعض الناس أسبابا يظنونها تقربهم إلى اللّٰه سبحانه وهي تباعدهم منه في الحقيقة وتجلب لهم السخط والغضب بل واللعنة والعذاب فمن ذلك استغاثة بعضهم بالموتى المقبورين من الأولياء والصالحين ليقضوا لهم حوائجهم التي لا يستطيع قضاءها إلا اللّٰه سبحانه وتعالى كطلبهم منهم دفع الضر وشفاء السقم وجلب الرزق وإزالة العقم والنصر على العدو وأمثال ذلك فيتمسحون بحديد الأضرحة وحجارة القبور ويهزونها أو يلقون إليها أوراقا كتبوا فيها طلباتهم ورغباتهم فهذه وسائل شرعية بزعمهم ولكنها في الحقيقة باطلة ومخالفة لأساس الإسلام الأكبر الذي هو العبودية للّٰه وحده وإفراده سبحانه بجميع أنواعها وفروعها

ومن ذلك اعتقاد بعضهم الصدق في خبر يتحدث به إنسان ما إذا عطس هو أو أحد الحاضرين عند تحدثه بذلك

والطريق الصحيح لمعرفة مشروعية الوسائل الكونية والشرعية هو الرجوع إلى الكتاب والسنة والتثبت مما ورد فيهما عنها والنظر في دلالات نصوصهما وليس هناك طريق آخر لذلك البتة

وأما الطريق الصحيح لمعرفة صحة الوسائل الكونية فهو النظر السليم والاختبار بواسطة الحواس والتجربة حسب المنهج العلمي المعروف فهناك شرطان لجواز استعمال سبب كوني ما

الأول أن يكون مباحا في الشرع

والثاني أن يكون قد ثبت تحقيقه للمطلوب أو غلب ذلك على الظن

وأما الوسيلة الشرعية فلا يشترط فيها إلا ثبوتها في الشرع ليس غير

فاتخاذ الحيوان في المثال الأسبق وسيلة مزعومة لمعرفة الغيب هو من الناحية الكونية باطل تدحضه التجربة والنظر ومن الناحية الشرعية كفر وضلال بين اللّٰه بطلانه وحذر منه .

وكثيرا ما يخلط الناس في هذه الأمور فيظنون أنه بمجرد ثبوت النفع بوسيلة ما . تكون هذه الوسيلة جائزة ومشروعة فقد يحدث أن يدعو أحدهم وليا أو يستغيث بميت فيتحقق طلبه وينال رغبته فيدعي أن هذا دليل على قدرة الموتى والأولياء على إغاثة الناس وعلى جواز دعائهم والاستغاثة بهم وما حجته في ذلك غير حصوله على طلبه وقد قرأنا مع الأسف في بعض الكتب الدينية أشياء كثيرة من هذا القبيل إذ يقول مسطرها أو ينقل عن بعضهم قوله مثلا : إنه وقع في شدة واستغاث بالولي الفلاني أو الصالح العلاني وناداه باسمه فحضر حالا أو جاءه في النوم فأغاثه وحقق له ما أراد

وما درى هذا المسكين وأمثاله أن هذا - إن صح وقوعه - استدراج من اللّٰه عز وجل للمشركين والمبتدعين وفتنة منه سبحانه لهم ومكر منه بهم جزاءا وفاقا على إعراضهم عن الكتاب والسنة واتباعهم لأهوائهم وشياطينهم في الحقيقة والواقع غير شيطان لعين يريد إضلالهم وإغراقهم في العقائد الباطلة

والمقصود من ذلك كله أن نعرف أن التجارب والأخبار ليست الوسيلة الصحيحة لمعرفة مشروعية الأعمال الدينية بل الوسيلة الوحيدة المقبولة لذلك هي الاحتكام للشرع المتمثل في الكتاب والسنة ليس غير

وأهم ما يخلط فيه كثير من الناس في هذا الباب الاتصال بعالم الغيب بطريقة من الطرق كإتيان الكهان والعرافين والمنجمين والسحرة والمشعوذين فتراهم يعتقدون في هؤلاء معرفة الغيب لأنهم يحدثونهم عن بعض الأمور المغيبة عنهم ويكون الأمر وفق ما يحدثون أحيانا ويظنون ذلك جائزا ومباحا بدليل وقوعه كما يخبرون . وهذا خطأ جسيم وضلال مبين فإن مجرد حصول منفعة ما بواسطة ما لا يكفي لإثبات مشروعية هذه الواسطة فبيع الخمر مثلا قد يؤدي إلى منفعة صاحبه وغناه وثروته وكذلك الميسر

واليانصيب أحيانا ولذلك قال ربنا تبارك وتعالى فيهما : { يسألونك عن الخمر والميسر قل : فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما }[٣٢] ومع ذلك فهما محرمان وملعون في الخمر عشرة كما ثبت في الحديث

شبهات يوردها المخالفون في تبرير التوسل الباطل والجواب عليها

الشبهة الأولى :

حديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما

يحتجون على جواز التوسل بجاه الأشخاص وحرمتهم وحقهم

بحديث أنس السابق أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا . قال : فيسقون

فيفهمون من هذا الحديث أن توسل عمر رضي الله عنه إنما كان بجاه العباس رضي الله عنه ومكانته عند الله سبحانه وأن توسله كأنه مجرد ذكر منه للعباس في دعائه وطلب منه لله أن يسقيهم من أجله وقد أقره الصحابة على ذلك فأفاد بزعمهم ما يدعون .

وأما سبب عدول عمر رضي الله عنه عن التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم بزعمهم - وتوسله بدلا منه بالعباس رضي الله عنه فإنما كان لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل ليس غير

وفهمهم هذا خاطئ وتفسيرهم هذا مردود من وجوه كثيرة أهمها :

١ - إن من القواعد المهمة في الشريعة الإسلامية أن النصوص الشرعية يفسر بعضها بعضا ولا يفهم شيء منها في موضوع ما بمعزل عن بقية النصوص الواردة فيه .

---

[٣٢] - البقرة

وبناء على ذلك فحديث توسل عمر السابق إنما يفهم على ضوء ما ثبت من الروايات والأحاديث الواردة في التوسل بعد جمعها وتحقيقها ونحن والمخالفون متفقون على أن في كلام عمر :

كنا نتوسل إليك بنبينا .. وإنا نتوسل إليك بعم نبينا

شيئا محذوفا لا بد له من تقدير وهذا التقدير إما أن يكون :

كنا نتوسل إليك ب (جاه) نبينا وإنا نتوسل إليك ب (جاه) عم نبينا على رأيهم هم أو يكون :

كنا نتوسل إليك ب (دعاء) نبينا وإنا نتوسل إليك ب (دعاء) عم نبينا على رأينا نحن

ولا بد من الأخذ بواحد من هذين التقديرين ليفهم الكلام بوضوح وجلاء

ولنعرف أي التقديرين صواب لا بد من اللجوء إلى السنة لتبين لنا طريقة توسل الصحابة الكرام بالنبي صلى الله عليه وسلم

ترى هل كانوا إذا أجدبوا وقحطوا قبع كل منهم في داره أو في مكان آخر أو اجتمعوا دون أن يكون معهم رسول الله ﷺ ثم دعوا ربهم قائلين : (اللهم بنبيك محمد وحرمته عندك ومكانته لديك اسقنا الغيث) . مثلا أم كانوا يأتون النبي ﷺ ذاته فعلا ويطلبون منه أن يدعو الله تعالى لهم فيحقق صلى الله عليه وسلم طلبتهم ويدعو ربه سبحانه ويتضرع إليه حتى يسقوا؟

أما الأمر الأول فلا وجود له إطلاقا في السنة النبوية الشريفة وفي عمل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ولا يستطيع أحد من الخلفيين أو الطرقيين أن يأتي بدليل يثبت أن طريقة توسلهم كانت بأن يذكروا في أدعيتهم اسم النبي صلى الله عليه وسلم ويطلبوا من الله بحقه وقدره عنده ما يريدون . بل الذي نجده بكثرة وتطفح به كتب السنة هو

الأمر الثاني إذ تبين أن طريقة توسل الأصحاب الكرام بالنبي ﷺ إنما كانت إذا رغبوا في قضاء حاجة أو كشف نازلة أن يذهبوا إليه ﷺ ويطلبوا منه مباشرة أن يدعو لهم ربه أي أنهم كانوا يتوسلون إلى الله

تعالى بدعاء الرسول الكريم ﷺ ليس غير ويرشد إلى ذلك قوله تبارك وتعالى : { ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما } [٣٣]

ومن أمثلة ذلك ما مر معنا في حديث أنس السابق الذي ذكر فيه مجيء الأعرابي إلى المسجد يوم الجمعة حيث كان رسول الله ﷺ يخطب وعرضه له ضنك حالهم وجدب أرضهم وهلاك ماشيتهم وطلبه منه أن يدعو الله سبحانه لينقذهم مما هم فيه فاستجاب له ﷺ وهو الذي وصفه ربه بقوله : { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم } [٣٤] فدعا ﷺ لهم ربه واستجاب سبحانه دعاء نبيه ورحم عباده ونشر رحمته وأحيا بلدهم الميت

ومن ذلك أيضا مجيء الأعرابي السابق نفسه أو غيره إلى النبي ﷺ وهو يخطب الجمعة التالية وشكواه له انقطاع الطرقات وتهدم البنيان وهلاك المواشي وطلبه منه أن يدعو لهم ربه ليمسك عنهم الأمطار وفعل ﷺ فاستجاب له ربه جل شأنه أيضا

ومن ذلك ما روته السيدة عائشة رضي الله عنه حيث قالت : شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له في المصلى ووعد الناس يوما يخرجون فيه . قالت : فخرج وهذا الذي بيناه من معنى الوسيلة هو المعهود في حياة الناس وفي استعمالهم فإنه إذا كانت لإنسان حاجة ما عند مدير أو رئيس أو موظف مثلا فإنه يبحث عمن يعرفه ثم يذهب إليه ويكلمه ويعرض له حاجته فيفعل وينقل هذا الوسيط رغبته إلى الشخص المسؤول فيقضيها له غالبا . فهذا هو التوسل المعروف عند العرب منذ القديم وما يزال فإذا قال أحدهم : إني توسلت إلى فلان فإنما يعني أنه ذهب إلى الثاني وكلمه في حاجته ليحدث بها الأول ويطلب منه قضاءها ولا يفهم أحد من ذلك أنه ذهب إلى الأول وقال له : بحق فلان (الوسيط) عندك ومنزلته لديك اقض لي حاجتي

---

[٣٣] -النساء

[٣٤] - التوبة

وهكذا فالتوسل إلى الله ﷻ بالرجل الصالح ليس معناه التوسل بذاته وبجاهه وبحقه بل هو التوسل بدعائه وتضرعه واستغاثته به سبحانه وتعالى وهذا هو بالتالي معنى قول عمر رضي الله عنه: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا. أي: كنا إذا قل المطر مثلا نذهب إلى النبي ﷺ ونطلب منه أن يدعو لنا الله جل شأنه

ويؤكد هذا ويوضحه تمام قول عمر ﵁: (وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا). أي إننا بعد وفاة نبينا جئنا بالعباس عم النبي ﷺ وطلبنا منه أن يدعو لنا ربنا سبحانه ليغيثنا

ترى لماذا عدل عمر رضي الله عنه عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بالعباس ﵁ مع العلم أن العباس مهما كان شأنه ومقامه فإنه لا يذكر أما شأن النبي ﷺ ومقامه ؟

أما الجواب برأينا فهو: لأن التوسل بالنبي ﷺ غير ممكن بعد وفاته فأنى لهم أن يذهبوا إليه ﷺ ويشرحوا له حالهم ويطلبوا منه أن يدعو لهم ويؤمنوا على دعائه وهو قد انتقل إلى الرفيق الأعلى وأضحى في حال يختلف عن حال الدنيا وظروفها مما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى فأنى لهم أن يحظوا بدعائه ﷺ

ولذلك لجأ عمر ﵁ وهو العربي الأصيل الذي صحب النبي ﷺ ولازمه في أكثر أحواله وعرفه حق المعرفة وفهم دينه حق الفهم ووافقه القرآن في مواضع عدة لجأ إلى توسل ممكن فاختار العباس رضي الله عنه لقرابته من النبي ﷺ من ناحية ولصلاحه ودينه وتقواه من ناحية أخرى وطلب منه أن يدعو لهم بالغيث والسقيا. وما كان لعمر ولا لغير عمر أن يدع التوسل بالنبي ﷺ ويلجأ إلى التوسل بالعباس أو غيره لو كان التوسل بالنبي ﷺ ممكنا وما كان من المعقول أن يقر الصحابة رضوان الله عليهم عمر على ذلك أبدا لأن الانصراف عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بغيره ما هو إلا كالانصراف عن الاقتداء بالنبي ﷺ في الصلاة إلى الاقتداء بغيره سواء بسواء ذلك أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا يعرفون قدر نبيهم ﷺ ومكانته وفضله معرفة لا يدانيهم فيها أحد كما نرى ذلك واضحا في الحديث الذي رواه سهل بن سعد الساعدي ﵁:

أن رسول اللّٰه ﷺ ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم فحانت الصلاة فجاء المؤذن إلى أبي بكر فقال : أتصلي بالناس فأقيم ؟ قال : فصلى أبو بكر فجاء رسول اللّٰه ﷺ والناس في الصلاة فتخلص حتى وقف في الصف فصفق الناس وكان أبو بكر لا يلتفت في الصلاة فلما أكثر الناس التصفيق التفت فرأى رسول اللّٰه ﷺ فأشار إليه رسول اللّٰه ﷺ أن امكث مكانك فرفع أبو بكر يديه فحمد اللّٰه عز وجل على ما أمره به رسول اللّٰه ﷺ من ذلك ثم استأخر أبو بكر حتى استوى في الصف وتقدم النبي ﷺ فصلى ثم انصرف فقال : يا أبا بكر : ما منعك أن تثبت إذ أمرتك ؟ قال أبو بكر : ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول اللّٰه ﷺ)

الجواب الثاني فقهي : وفحواه أن حياته ﷺ بعد وفاته مخالفة لحياته قبل الوفاة ذلك أن الحياة البرزخية غيب من الغيوب ولا يدري كنهها إلا اللّٰه سبحانه وتعالى ولكن من الثابت والمعلوم أنها تختلف عن الحياة الدنيوية ولا تخضع لقوانينها فالإنسان في الدنيا يأكل ويشرب ويتنفس ويتزوج ويتحرك ويتبرز ويمرض وتكلم ولا أحد يستطيع أن يثبت أن أحدا بعد الموت حتى الأنبياء عليهم السلام وفي مقدمتهم نبينا محمد صلى اللّٰه عليه وسلم تعرض له هذه الأمور بعد موته

ومما يؤكد هذا أن الصحابة رضي اللّٰه عنهم كانوا يختلفون في مسائل كثيرة بعد وفاته ولم يخطر في بال أحد منهم الذهاب إليه ﷺ في قبره ومشاورته في ذلك وسؤاله عن الصواب فيها لماذا ؟ إن الأمر واضح جدا وهو أنهم كلهم يعلمون أنه صلى اللّٰه عليه وسلم انقطع عن الحياة الدنيا ولم تعد تنطبق عليه أحوالها ونواميسها فرسول اللّٰه ﷺ بعد موته حي أكمل حياة يحياها إنسان في البرزخ ولكنها حياة خاصة لا تشبه حياة الدنيا ولعل مما يشير إلى ذلك قوله ﷺ (ما من أحد يسلم علي إلا رد اللّٰه علي روحي حتى أرد عليه السلام)

حديث الضرير ليس فيه حجة للتوسل الي الله بالات النبوية

أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني . قال : إن شئت دعوت لك وإن شئت أخرت ذاك فهو خير (وفي رواية : وإن شئت صبرت فهو خير لك) فقال : ادعه . فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء :

اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقض لي اللهم فشفعه في [وشفعني فيه] . قال : ففعل الرجل فبرأ

يرى المخالفون : أن هذا الحديث يدل على جواز التوسل في الدعاء بجاه النبيﷺ أو غيره من الصالحين إذ فيه أن النبي ﷺ علم الأعمى أن يتوسل به في دعائه وقد فعل الأعمى ذلك فعاد بصيرا

وأما نحن فنرى أن هذا الحديث لا حجة لهم فيه على التوسل المختلف فيه وهو التوسل بالذات بل هو دليل آخر على النوع الثالث من أنواع التوسل المشروع الذي أسلفناه لأن توسل الأعمى إنما كان بدعائه .

والأدلة على ما نقول من الحديث نفسه كثيرة وأهمها :

أولا : أن الأعمى إنما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليدعو له وذلك قوله : (ادع الله أن يعافيني) فهو قد توسل إلى لله تعالى بدعائهﷺلأنه يعلم أن دعاءهﷺأرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره ولو كان الأعمى التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم أو جاهه أو حقه لما كان ثمة حاجه به إلى أن يأتي النبيﷺ ويطلب منه الدعاء له بل كان يقعد في بيته ويدعو ربه بأن يقول مثلا : (اللهم إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن تشفيني وتجعلني بصيرا) . ولكنه لم يفعل لماذا ؟ لأنه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم ويعرف أنه ليس كلمة يقولها صاحب الحاجة يذكر فيها اسم المتوسل به بل لا بد أن يشتمل على المجيء إلى من يعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب والسنة وطلب الدعاء منه له

ثانيا : أن النبي ﷺ وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ما هو الأفضل له وهو قوله صلى الله عليه وسلم : (إن شئت دعوت وإن شئت

صبرت فهو خير لك) .

وهذا الأمر الثاني هو ما أشار إليه ﷺ في الحديث الذي رواه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال :

إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه - أي عينيه - فصبر عوضته منهما الجنة[٣٥]

[٣٥] - التوسل أنواعه وأحكامه

الشبهة الثالثة : الأحاديث الضعيفة في التوسل :

يحتج مجيزو التوسل المبتدع بأحاديث كثيرة إذا تأملناها نجدها تندرج تحت نوعين اثنين : الأول ثابت النسبة إلى رسول الله ﷺ ولكنه لا يدل على مرادهم ولا يؤيد رأيهم كحديث الضرير وقد تقدم الكلام على هذا النوع

والنوع الثاني غير ثابت النسبة إلى رسول الله ﷺ وبعضه يدل على مرادهم وبعضه لا يدل وهذه الأحاديث التي لا تصح كثيرة فأكتفي بذكر ما اشتهر منها فأقول : [٣٦]

[٣٦] - السابق ص ٩٢

الاستشفاع بالأنداد من أنواع الشرك المتعلق باللسان

نفى الله جميع ذرائع الشرك التي تتعلق بها المشركون تأليه غير الله ودعائه فقال الله تعالى ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣) ﴾ [٣٧]

قال بن تيمية

فَبَيَّنَ أَنَّ كُلَّ مَنْ دُعِيَ مِنْ دُونِهِ لَيْسَ لَهُ مُلْكٌ وَلَا شِرْكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَا هُوَ ظَهِيرٌ . وَأَنَّ شَفَاعَتَهُمْ لَا تَنْفَعُ إلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ . وَهَذَا بِخِلَافِ الْمُلُوكِ فَإِنَّ الشَّافِعَ عِنْدَهُمْ قَدْ يَكُونُ لَهُ مُلْكٌ وَقَدْ يَكُونُ شَرِيكًا لَهُمْ فِي الْمُلْكِ وَقَدْ يَكُونُ مُظَاهِرًا لَهُمْ مُعَاوِنًا لَهُمْ عَلَى مُلْكِهِمْ وَهَؤُلَاءِ يُشَفَّعُونَ عِنْدَ الْمُلُوكِ بِغَيْرِ إذْنِ الْمُلُوكِ هُمْ وَغَيْرُهُمْ وَالْمَلِكُ يَقْبَلُ شَفَاعَتَهُمْ : تَارَةً بِحَاجَتِهِ إلَيْهِمْ وَتَارَةً لِخَوْفِهِ مِنْهُمْ وَتَارَةً لِجَزَاءِ إحْسَانِهِمْ إلَيْهِ وَمُكَافَأَتِهِمْ وَلِإِنْعَامِهِمْ عَلَيْهِ ؛ حَتَّى إنَّهُ يَقْبَلُ شَفَاعَةَ وَلَدِهِ وَزَوْجَتِهِ لِذَلِكَ فَإِنَّهُ مُحْتَاجٌ إلَى الزَّوْجَةِ وَإِلَى الْوَلَدِ ؛ حَتَّى لَوْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَلَدُهُ وَزَوْجَتُهُ لَتَضَرَّرَ بِذَلِكَ وَيَقْبَلُ شَفَاعَةَ مَمْلُوكِهِ ؛ فَإِذَا لَمْ يَقْبَلْ شَفَاعَتَهُ ؛ يَخَافُ أَنْ لَا يُطِيعَهُ أَوْ أَنْ يَسْعَى فِي ضَرَرِهِ . وَشَفَاعَةُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ عِنْدَ بَعْضٍ : كُلُّهَا مِنْ هَذَا الْجِنْسِ . فَلَا يَقْبَلُ أَحَدٌ شَفَاعَةَ أَحَدٍ إلَّا لِرَغْبَةِ أَوْ رَهْبَةٍ[٣٨]

---

[٣٧] سبأ

[٣٨] مجموع الفتاوى لابن تيمية ١/ ١٢٩

بيان الشرك الأصغر المتعلق باللسان

الشرك الأصغر المتعلق بقول اللسان هو كالحلف بغير الله وقول الرجل للرجل ماشاء الله وشئت ومن الشرك الأصغر

١- الحلف بغير الله :

وهو من الشرك الأصغر لأن فيه تشبيه للمخلوق بالخالق في التعظيم

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِى رَكْبٍ وَهْوَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ ، **فَنَادَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَلاَ إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ ، وَإِلاَّ فَلْيَصْمُتْ**

٢- **الاستسقاء بالأنواء :** وجاء الوعيد علي من نسب مجيء المطر إلي حركة الأنواء وهي نوء والأنواء منازل القمر التي يظهر علي اثرها حركة المد والجذر وحركات الأمواج في البحار

وفي الحديث الرواه الامام مسلم من حديث ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِىِّ -ﷺ

فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ « **أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ قَالُوا هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا ». قَالَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ (فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) حَتَّى بَلَغَ (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ)**

٣- **شرك الألفاظ :** الذي يتناقه عامة المسلمين بسبب الجهل كقولهم : ما شاء الله وشئت أنا تبت لله ولفلان أنا متوكل علي الله وعليك أرجو الله وفلانا أنا في حسب الله وحسبك لولاك لضعنا لولا الكلب في الدار لسرقنا هذا من الله ومنك ما لي إلا الله وانت الله لي في السماء وانت لي في الأرض وغير ذلك من الألفاظ الشركية

روى أحمد في المسند من حديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: " أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهَ عَدْلًا بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ

عَنْ قُتَيْلَةَ - امْرَأَةٌ مِنْ جُهَيْنَةَ - أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِىَّ ﷺ فَقَالَ إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ وَتَقُولُونَ وَالْكَعْبَةِ. فَأَمَرَهُمُ النَّبِىُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا « وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ». وَيَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ

وقول اليهودي : إنكم تشركون تقولون : ما شاء الله وشئت هذا نص في أن هذا اللفظ من الشرك لأنم النبي أقر اليهودي علي تسمية هذا اللفظ تنديدا أو شركا ونهى النبي عن ذلك وأرشد إلي استعمال اللفظ البعيد من الشرك وهو قول ما شاء الله ثم شئت وان كان الأولى قول ما شاء الله وحده

ومن العجب أن يكون اليهود علي علم بالشرك الأصغر وكثير من النتسبين للإسلام لا يعرف الشرك الأكبر بل يصرف خالص العبادات من الدعاء والذبح والنذر لغير الله ويظن أن ذلك من الاسلام

٤- سب الدهر :

روى مسلم من حديث عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ

٥- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُؤْذِينِى ابْنُ آدَمَ يَقُولُ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ. فَلاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ. فَإِنِّى أَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا

قال بن كثير

ومعنى هذا أن الجاهلية كانوا يقولون : يا خيبة الدهر ، فعل بنا كذا وكذا ، فيسندون أفعال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه ، وإنما الفاعل لذلك هو الله عزَّ وجلَّ فنهى عن ذلك هكذا قرره الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من العلماء رحمهم الله تعالى

يقول ابو الطيب :

قبحا لوجهك يا زمان كأنه ......وجه له من كل قبح برقع

٦- **شرك المبالغة في تسمية ملوك المسلمين وأمرائهم** : وهو من الشرك الأصغر الذي يقع فيه العامة والخاصة وذلك أن من خولهم الله واستخلفهم علي عباده لا يصح تسميتهم أو وصفهم بما يخرجهم عن دورهم فلا يجوز مناداته إلا بلفظ أمير المؤمنين أو سلطانهم أو ملكهم أو حاكمهم أو رئيسهم أما المبالغة في وصفهم بجلالة الملك المعظم أو أصحاب السمو الملكى أو أصحاب المعالي والفخامة أو ما شابه ذلك مما يخرج المسلم عن أوصافه العبودية التي شرفه الله بها ويوقعه في شيء من أوصاف الربوبية فهذا كله من الشرك الأصغر وقد يكون من الشرك الأكبر المتعلق بالربوبية اذا رضيه ودعا إليه وأحب فيه وأبغض وولى وعادى وقد أحسن بعض الملوك في عصرنا حين غير تسميته من جلالة الملك إلي خادم الحرمين الشريفين لأن فطرة العبودية قائمة علي حب التواضع والافتقار لله

وقد روى الامام مسلم من حديث

أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ« أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ رَجُلٌ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ لاَ مَلِكَ إِلاَّ اللَّهُ[٣٩]

قال بن القيم

وفي معنى ذلك كراهية التسمية بقاضي القضاء وحاكم الحكام فان حاكم الحكام في الحقيقة هو الله وقد كان جماعة من أهل الدين والفضل يتورعون عن إطلاق لفظ قاضي القضاة وحاكم الحكام قياسا على ما يبغضه الله ورسوله من التسمية بملك الأملاك وهذا محض القياس

وكذلك تحرم التسمية بسيد الناس وسيد الكل كما يحرم سيد ولد آدم فان هذا ليس لأحد إلا لرسول الله وحده فهو سيد ولد آدم فلا يحل لأحد أن يطلق على غيره ذلك[٤٠]

---

[٣٩] -رواه مسلم ٢١٤٣

وروى أبو داود من حديث عبد الله بن الشخير

قال انْطَلَقْتُ فِى وَفْدِ بَنِى عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا أَنْتَ سَيِّدُنَا. فَقَالَ « السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ». قُلْنَا وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً وَأَعْظَمُنَا طَوْلاً. فَقَالَ « قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ[41]

بقلم الباحث / محمد حمدى سيد صالح

(أبو عُمير محمد الحلوانى)

---

[40] - تحفة المودود بأحكام المولود ص ١١٥

[41] - أخرجه أبو داود (٤٨٠٦) واللفظ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١٠٠٧٤)، وأحمد (١٦٣٥٩)